دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	البيئة في الإسلام
المصدر:	مجلة جامعة الزيتونة
الناشر:	جامعة الزيتونة
المؤلف الرئيسي:	البركي، عبدالرحيم محمد علي
المجلد/العدد:	ع11
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الصفحات:	358 - 372
رقم MD:	840224
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, EduSearch, IslamicInfo, HumanIndex
مواضيع:	الشريعة الإسلامية، مقاصد الشريعة، حماية البيئة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/840224

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

" البيئة في الإسلام "

د.عبدا لرحيم محمد علي
كلـيــة الآداب والـتـربـيــة"سوق الأحد " قسـم الـدراسـات الإسـلامـيــة

مقدمة

عنى الدين الإسلامي بكل جوانب الحياة ومكوناتها الطبيعية ، حتى أن القرآن لم يترك صغيرةً ولا كبيرة إلاَ وقد نوّه إليها في سياق الدلالة على وجود الله ـ تعالى ـ ، أو في سياق الدلالة على معالجة بعض المسائل الفقهية ، أو العلمية الدقيقة ، أو في إطار المعالجة النفسية والأخلاقية للإنسان ، حيث أن الحياة الدنيا في منظور الإسلام متعددة الجوانب ، ولكنها مترابطة لدرجة لا يعقلها إلا العالمون !!. وإذا ما أردنا التحدث عن علاقة الإنسان بربه ، فإنه لا يكون بمقدورنا فصل هذه العلاقة عن تلكم الجوانب المتعددة، حتى أن مفهوم العبادة أضحى مفهوماً شاملاً لكل مراحل حياة الإنسان ،داخل دور العبادة وخارجها .ولعل من أهم الجوانب التي نوّه إليها القرآن وأرشدنا إلى أهميتها وضرورة المحافظة عليها ، والاستفادة من مكنوزاتها وخيراتها ، وأمرنا بشكره عليها ، هي نعمة السموات والأرض ، وهي بالمسميات المعاصرة " البيئة " .

فالدين الإسلامي دين صالح لكل زمان ومكان ، غير أن جمعاً غفيرًا من الدعاة والمفكرين الإسلاميين لم يحفظوا لهذا المبدأ الإسلامي حقه من الفهم العميق ، فسرعان ما نراهم يحجمون رؤية الإسلام للحياة ، ويضعونها في قوالب فكرية جامدة ؛غير أن من الأمة رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فنهضوا بما أوتوا من العلم والحكمة ، ونفضوا الغبار عن حقيقة أراد لها الله أن تكون فكانت ، وهي أن الدين الإسلامي دين حياة متكامل ، وأن الإنسان مخلوق لعبادة الله وحده ، ومن مقتضيات العبادة تعمير الأرض وعدم العبث فيها و إفسادها .

واليوم نسمع ونرى كثيراً من الندوات والمؤتمرات التي تعقد بين الفينة والأخرى تحت عنوان المحافظة على البيئة، حتى أن العالم يحيي يوماً تاريخياً للبيئة

، فهلاّ قرأ المفكرون وأنصار البيئة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ،حتى يجدوا ضالتهم وبغيتهم ؟ .

وهل القرآن عالج هذه القضية أم أن الباحث يتحدث بنزعة حميمة وعاطفية ؟ .

إن الإجابة عن هذا التساؤل تتضمن مناقشة الآتي :

1- تحديد مفهوم البيئة لغوياً واصطلاحياً .

2- أهم المخاطر التي تهدد البيئة .

3- المعالجات المقترحة للحد من تلك المخاطر .

4- الحل الإسلامي للمحافظة على البيئة .

أولاً : تعريف البيئة

البيئة والباءة والمباءة في اللغة العربية أسماء بمعنى المنزل الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان ويقيم فيه ، وهي مشتقة من الفعل "بوّأ" بتشديد الواو ،فيقال : أباءه منزلاً وبوّأه فيه ، بمعنى هيأه له وأنزله ، ومكن له فيه ، قال تعالى { والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين }[1] ،وتوصف حالة التبيؤ وحاله بالحسن أو السوء ، فيقال : إنه لحسن البيئة ، أو إنه باء بيئة سوء[2] وفي الصحاح للجوهري[3] :المباءة منزل القوم في كل موضع ، ويقال في كل منزل ينزله القوم ، قال طرفة ابن العبد : طيِّبوا سهلٌ ولهم .....سبلٌ إن شيئت في وحشٍ وعرْ . وتطلق البيئة اصطلاحاً على المكان الذي يقيم فيه الإنسان وغيره ، فالباءة والبيئة ، هي بيت النحل في الجبل ومتبوّأ الولد هو الرّحم . والبيئة في المعجم الوسيط[4] ، هي المنزل والحال ، ويقال بيئة طبيعية ، وبيئة اجتماعية ، وبيئة سياسية . وفي المنجد [5] : بوّأه منزلاً ، هيأه له وأنزله فيه (مادة بوّأ الرمح). ويمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه يعني المنزل وما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيهما ، كما هو في المجمع الوجيز[6] .

ويتضح من هذه المعاني أن البيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ، بما يضم من مظاهر طبيعية خلقها الله ـ تعالى ـ ، يتأثر بها ويؤثر فيها ، وقد أوجز

---

[1] ـ سورة العنكبوت ،الآية ،58

[2] ـ لسان العرب ،للإمام العلامة ابن منظور ، طبعة جديدة ، بعناية أمين محمد عبدا لوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، ج 1، باب الباء ،مادة بوّأ ، ص: 531 ، 532

[3] ـ الصحاح للجوهري مادة بوّأ.

[4] ـ المعجم الوسيط ، قام بإخراجه ، إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استنبول تركيا ، ج1 ص :75 "باء" .

[5] ـ المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق بيروت ، ط 27 ، مادة بوّأ .

[6] ـ المجمع الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1990 م .

مؤتمر البيئة البشرية في استكلهم 1972 م ،يدلس 1978م، التعريف التالي :"أن البيئة هي مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى ،التي يستمدون منها زادهم ، ويؤدون فيها نشاطهم "[1] ، ويتضمن هذا التعريف الموارد والمنتجات الطبيعية والاصطناعية التي تؤمن إشباع حاجات الإنسان .

وتطلق البيئة في مفهومها الواسع على مجموعة من المؤثرات الثقافية والحضارية والنفسية إلى جانب البيئة من مفهوم النطاق المادي ،حيث أن البيئة بهذا المعنى ليست مرادفة للطبيعة ،ولذلك يرى محمد بن يحيى أن التعريف الإجرائي الذي يعرف البيئة بأنها:"المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشمل من ماء وهواء وفضاء وتربة وكائنات حية ، ومنشآت أقامها لإشباع حاجاته " أن هذا التعريف هو الأنسب[2] .

ثانياً: الأخطار البيئية

وهي طبيعية وغير طبيعية،ويقصد بالأخطار الطبيعية ـ أو كما يسميه البعض بالتلوث الطبيعي ـ كل العوامل والظواهر والتفاعلات التي ليس للإنسان أي دخل فيها،حيث أن الطبيعة عرضة إلى التغير المستمر بسبب عدة عوامل ذاتية كالرياح والسيول والأمطار وحرائق الغابات بسبب زيادة درجات الحرارة ،وثورات البراكين والزلازل والمد والجزر في البحار، وما تفرزه من ملوّثات، حيث تشغل البحار والمحيطات ، أكثر من 70% من مساحة الكرة الأرضية ، وتعد البحار والمحيطات من أهم المسطحات المؤثرة في المناخ ، حيث تمنع تطرف درجة الحرارة ، وتزود الجو بالرطوبة اللازمة لجميع أشكال التكاثف والتساقط[3] .والتلوث يشكل خطراً غير منظور بالنسبة للثروة البحرية، خاصة السمكية منها التي أصبحت مصدراً مهماً لتعويض غذاء الإنسان، فلا يمكن النظر إلى البيئة على أنها محايدة ، بل هي تمثل المسرح المكاني للأنشطة البشرية ، وتوجد في الحقيقة طرائق من التفاعلات المعقدة بين المجتمعات البشرية والنظام البيئي الطبيعي والتي تتفاوت في الزمان والمكان .

وحتى إذا سلمنا بأن الأخطار الطبيعية ليس للإنسان سيطرة عليها بشكل كامل ، إلا أنه في كثير من الأحيان يشكل السبب الرئيس في حدوثها ، ولو بشكل غير

---

[1] ـ الإسلام والبيئة ،لمحمد مرسي محمد ، الرياض ، أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية 1420هـ ـ 1999م ، ص:18

[2] ـ البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي ، إعداد ،.أ.د.محمد بن يحي بن حسن، ورقة بحثية مقدمة للمشاركة في الدورة التاسعة عشر لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ،دولة الإمارات ، الشارقة .

[3] ـ التلوث البيئي ،لمحمد عياد مقيلي ،ط ،الأولى 2002م ،دار شموع الثقافة ، الزاوية ،ليبيا ، ص:213.

مباشر ،ولعل تسمم الثروة البحرية خير شاهد على ما نقول ، فقد جاء في أحد التقارير البحثية التي سجلت بمنطقة ساحلية طولها 100 متر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ،فكان رصيد الملوثات 55 حقيبة ، 36 كوباً ،وملعقة وشوكة ، 4 لعب أطفال ،62 زجاجة بلاستيك ، وزوج من القفازات ، و3 كور من المطاط ، 31 أنبوبة مساحيق تجميل ، 195 غطاء زجاجة ، 14 صحيفة ، 65 غلاف مجلة ،27 قطعة قماش ، وشبكة صيد ممزقة ، ومصباح كهربائي ،57 علبة معدنية للأسماك ،وإطار سيارة ، وأخشاب وزجاج ، وفي منطقة أخرى على أحد شواطئ البحار باحت إحصائية مزعجة بحصاد 2086 قطعة بلاستيك في كيلو متر مربع من البحر ،والبلاستيك قابل للتحلل الحيوي ، ويتراكم بصورة مخيفة ، وقد ثبت أن 30% من الأسماك قد ابتلعت البلاستيك وأكلناها نحن ، كما أثبتت الأبحاث أن البحر المتوسط أصبح بركة ملوثة بالزئبق والكادميوم والهالجونات العضوية وزيوت التشحيم ،إضافة لما تلقيه السفن وغيرها من النفايات [1] .وإذا تعمقنا أكثر لوجدنا أن الكوارث الطبيعية ،مثل الزلازل ،والبراكين ،والفيضانات ..إلخ ،تحدث بسبب تصرف الإنسان ، فقد أخبرنا القرآن الكريم عن أقوام ظلموا أنفسهم ، وعاثوا في الأرض فساداً، فأرسل عليهم الله القمّل والضفادع ، وريح الصرصر، والطوفان ، وغير ذلك من ألوان العذاب والعقوبات الإلهية ، وما إعصار اتسونامي ، وغيره من الأعاصير المدمرة منا ببعيد !!. أما عن المخاطر غير الطبيعية ،فنقول : إن البيئة الأرضية بكل ما فيها من مكونات ومقومات ، هي الوطن العام لبني الإنسان ، يقول ـ تعالى ـ : {هو الذي جعل لكم الأرضَ ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور }[2] ،لكن إنسان العصر الحديث اندفع اندفاعاً محموماً نحو إشباع شهواته ونزواته ، منبهراً بوسائل التقنية المتاحة ، فحال الإنسان اليوم إسرافٌ وتبذيرٌ ، وظلمٌ واعتداءٌ ، وطمعٌ وجشعٌ ، الأمر الذي أدى إلى إرباك النظام البيئي على المستوى المحلي والعالمي ،تمثل في استنزاف الموارد والثروات ، مما ينذر بأخطر العواقب وأوخمها ، وذلك كله بما فعلت وكسبت أيدي الناس ، قالـ تعالىـ :{ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون }[3] .

إن الأنانية المفرطة وراء إشباع الشهوات والرغبات لدى الإنسان الفرد والجماعة هو السبب وراء كل الأخطار المحدقة بالبيئة ، سواء في مجال الصناعة أو

---

[1] ـ الإنسان وتلوث البيئة ،لمحمد السيد أرناءوط ،الدار المصرية اللبنانية ، ص: 180 .

[2] ـ سورة الملك الآية 15 .

[3] ـ سورة الروم الآية 40 .

التجارة أو في مجال التطور التقني ، فالبيئة خطرها يأتي من التلوث ، والتلوث يسببه الإنسان تحت ذريعة التطور والتطور منه براءٌ .

فالبحر في أصله صافٍ ونقي لا تشوبه شائبة، حيث قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "هو الطهور ماؤه و الحل ميتته "[1] ، لكنه صار هو الآخر ملوثاً بفعل الإنسان تحت ذريعة أن الله سخره للإنسان ، والأرض تلوثت وعجزت عن قيامها بدورها ،جراء ما تعانيه من عبث الإنسان وفساده وأنانيته ، وعدم التزامه بشرع الله الذي كفل المحافظة على البيئة بتحقيق مقاصده الخمسة [2] .

إن الأخطار الجسيمة التي تهدد البيئة هي ما دفع العلماء والباحثين والمفكرين والكتاب إلى دقّ أجراس الخطر عالية ، حتى ينتبه الإنسان الهلوع إلى أن الخطر يداهمه ، ولا وجهة له في أرض تغوّلت بفعل التصحر، وطبقة الأوزون على وشك الانفتاق ،إلاّ باتباع شرع الله متمثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

ثالثاً :الحلول المقترحة للحد من مخاطر البيئة .

لقد اتخذت بعض الإجراءات الوقائية التي يعتقد أنها تؤدي إلى منع خطر قادم، أو مقاومته أو التقليل من حدوثه ، أو التحذير من الإقدام عليه ، وقد كان على رأس الإجراءات الوقائية الدور الإعلامي، أو ما يعرف " بالثقافة البيئية "[3] ، كذلك الاهتمام بالمشاريع الزراعية والتوسع فيها ، وذلك من حيث حماية التربة الزراعية من التلوث من المبيدات ، وخطر الإنجرافات في التربة جراء العبث في الغابات والأشجار التي تصدّ الرياح ،وأيضاً تعمير الصحراء، واعتماد نبات البردي في معالجة مياه الصرف الصحي ، كذلك حماية المحميات الطبيعية وصيانة التنوع البيولوجي، والعمل على صياغة التشريعات ، وعقد المؤتمرات الخاصة بحماية البيئة من التلوث . وإذا ما حاولت عرض الحلول أو المعالجات التي قدمت سواء محلياً أو دولياً ، فإن الأمر بحاجة إلى مجلدات ، لكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن المنظمات الدولية عملت جاهدة على صيانة البيئة بكل أطرها وقنواتها،

وسخرت العقول البشرية المؤهلة لتنفيذ هذا المشروع الضخم، والدقيق، والخطير . ألا وهو حماية البيئة ؛ غير أن العوامل السياسية والأخلاقية والاقتصادية حالت دون ذلك ؛لذلك رأيت من خلال هذه الورقة البحثية أن أقدِّمَ الحل الإسلامي لهذه القضية الإنسانية الكونية .

---

[1] ـ الموطأ ،للإمام مالك بن أنس ،دراسة وتحقيق ، عبد المجيد تركي ،ط ،الأولى ،1994م ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ص:55 ،رقم 28.

[2] ـ وهي المحافظة على الدين والعقل والنسل والنفس والمال .

[3] ـ ينظر : الإنسان وتلوث البيئة ،ص :324 وما بعدها .

رابعاً :الحل الإسلامي للمحافظة على البيئة .

عنى الدين الإسلامي بالإنسان والحيوان وسائر المخلوقات البرية والبحرية، فالإسلام لم يهمل البيئة منذ اللحظة الأولى ،فالمكان والزمان، والطعام والشراب واللباس ،والعلاقات الاجتماعية ،والخدمات على اختلاف أنواعها، كل هذه الأمور عالجها الإسلام ؛ ليحفظ لأتباعه السلامة في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يؤكده حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال :" من بات آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه وليلته فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها "[1] .إن التركيز الحقيقي الذي انتهجه الدين الإسلامي في معالجة كل المشاكل هو التركيز على البناء الفكري والعقدي ، فصلاح البيئة أو فسادها مرهون في الإنسان نفسه ، فإن صلح صلحت معه البيئة، وإن عاث ودمر وأفسد فسدت معه بيئته ، مع ملاحظة أن أصل النشأة للبيئة الأولى كان قد روعي فيه كل ما يحقق سعادة الإنسان ورفاهيته ، قال تعالى: { فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف }[2] ولكي نعطي الموضوع قدراً من الاهتمام نتوخى فيه الموضوعية، رأيت أن أبدأ هذه الجزئية بشواهد من القرآن الكريم .

ـــ قال تعالى: {ولقد كتبنا في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون }[3] .

ـــ وفي سورة الأعراف : {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين }[4] .

ـــ وفي سورة يونس بيّن الله ـ تعالى ـ أن من بين النعم التي منَّ الله بها على بني إسرائيل أنه أنزلهم منزلاً صالحاً مرضياً مباركاً، حيث أورثهم مشارق الأرض ومغاربها ، يقول ـ تعالى- :{ ولقد بؤنا لبني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات ، فما اختلفوا حتى جاءهم العلم } [5] .

ـــ ويقول تعالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّأنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العالمين }[6] ، وفي سورة يوسف قوله تعالى : { وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء }[1] .

---

[1] ـ سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي ، حمص ،مطابع الفجر الحديث ،ط 1، 1967م ،ص : 93 .

[2] ـ سورة قريش ،الآية 2،3،4،5.

[3] ـ سورة الأنبياء ،الآية ،105 .

[4] ـ الآية 74 .

[5] ـ الآية 93.

[6] ـ سورة العكنبوت ،الآية 58.

وفي قصة موسى ـ عليه السلام ـ وأخيه هارون تأكيد واضح على أن التمكن والتبوّأ مشروط بعبادة الله ـ تعالى ـ { وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقوكما بمصر بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين }[2] .

إن المتفحص في معاني هذه الآيات القرآنية ، ليدرك إدراكاً تاماً أن البيئة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأرض والمكان ،وذلك متعلق بالأفعال التي من أجلها حسنت البيئة أو ساءت ،وأن التمكن فيها والاستفادة من خيراتها مرهون في جعلها مسجداً لعبادة الله ـ تعالى ـ سواء في حالة العبادة أو في حالات البناء والتشييد ، أو في حالات الحرب والقتال ، فالمسلم يتبوّأ من الأرض حيث يشاء؛ لأنه معتقدٌ بوجود الله ـ تعالى ـ وإرساله للرسل، وإنزاله للكتب والشرائع، وهو بذلك لم يخلق عبثاً ،ولم يترك ليتصرف في البيئة كيفما يشاء ، وإنما هو مستخلف فيها بشروط الصلاح والتقوى ، يقول ـ تعالى ـ : {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك فيها الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون}[3] ،ويقول ـ تعالى ـ: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن يكفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}[4] .

من هنا حرص المسلمون الأوائل على أن ينهضوا ببيئتهم على خير وجه يمكنهم من حمل الأمانة الموكولة إليهم ، فقد ذكر ابن حزم أنه لم يزل الأنصار كلهم وكل من قسم له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرضاً من فتح بني قريظة ومن أقطعه أرضاً من المهاجرين يزرعون ويغرسون لحضرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك كل من أسلم من أهل البحرين وعُمان واليمن والطائف ،فما حض ـ عليه السلام ـ قطٌّ على تركه ، وهذا الخبر عموم كما هو ظاهرٌ لم يخص به غير أهل بلاد العرب من أهل بلاد العرب ، وكلامه ـ عليه السلام ـ لا يتناقض[5] .

هذا وقد اهتم السابقون من العلماء والمسلمين بالأرض اهتماماً كبيراً، لكون ذلك يتعلق بإصلاح بيئتهم ، فلم يتركوا جانباً من جوانبها إلا وأوسعوه بحثاً ووصفاً وعنايةً لم تقتصر على الأرض فقط بل تعدتها لتربط بينها وبين أخلاق الناس

---

[1] ـ الآية 56.

[2] ـ سورة يونس ، الآية 87.

[3] ـ سورة البقرة ، الآية 29 .

[4] ـ سورة النور ، الآية 55 .

[5] ـ المحلى ، ابن حزم ، ج 2 ص: 109 ، 110 ،وينظر :البيئة والبعد الإسلامي ،لفؤاد عبداللطيف ،جامعة فيلادلفيا،ط1،دار الميسر، عمان ،ص:55.

وصفاتهم وألوانهم وسجاياهم وعاداتهم وتقاليدهم ،وقد بين فؤاد عبدا للطيف في كتابه البيئة والبعد الإسلامي[1]، اهتمام السابقين من المسلمين بالأرض بشكل مفصل ، حيث ذكر قوانينهم التي اعتمدوها في معرفة الأرض الصالحة للزراعة، والأرض الصالحة للبناء ،والصالحة للشجر فقط دون الزراعة ،كذلك تفننهم في الأشكال الهندسية في البناء الذي تتوفر فيه كل الشروط الصحية .وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير منافع الأرض وصفاتها ،في طرح علمي شيق ودقيق ،من خلال تفسيره لقوله تعالى: {الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً}[2]،حيث قال :"المسألة الخامسة" [3] في سائر منافع الأرض وصفاتها :

الأولى: الأشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ، لا يعلم تفاصيلها إلاّ الله ـ تعالى ـ .

الثانية: أن يتخمر الرطب بها فيحصل التماسك في أبدان المركبات .

الثالثة: اختلاف بقاع الأرض ، فمنها أرض الرخوة ، وصلبة ، ورملية ، وسبخة ، وحرة ،وهي قوله تعالى: {وفي الأرض قطع متجاورات}، وقال:{ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله والذي خبث لا يخرج إلا نكداً } .

الرابعة : اختلاف ألوانها ، فأحمر ، وأبيض ، وأسود ، ورمادي اللون وأغبر ،على ما قال ـ تعالى ـ : { ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود }.

الخامسة : انصداعها بالنبات ، قال ـ تعالى ـ : { والأرض ذات الصدع } .

السادسة :كونها خازنة للماء المنزل من السماء وإليه الإشارة بقوله ـ تعالى ـ { وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون } .

وقوله : { قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين }.

السابعة : العيون والأنهار العظام التي فيها ، وإليها الإشارة بقوله ـ تعالى ـ : { وجعل فيها رواسي وأنهاراً } .

الثامنة : ما فيها من المعادن والغازات ، وإليها الإشارة بقوله ـ تعالى ـ :{والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون }، ثم بين بعد ذلك تمام البيان فقال : { وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزل إلاّ بقدر معلوم } .

التاسعة: الخبء الذي تخرجه الأرض من الحب والنوى ، قال ـ تعالى ـ : { إنّ الله فالق الحب والنوى}، وقال:{ يخرج الخبء في السماوات والأرض }.

---

[1] ـ ص : 55 ،56 .

[2] ـ سورة البقرة ،الآية 21.

[3] ـ طبعة جديدة منقحة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج 1 ص :104 ،105 .

العاشرة : حياتها بعد موتها ، قال ـ تعالى ـ :{أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً}، وقال: {وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون} .

الحادية عشر : ما عليها من الدواب المختلفة الألوان والصور والخلق ، وإليه الإشارة بقوله : { خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة} .

الثانية عشر : ما فيها من النبات المختلف ألوانه وأنواعه ومنافعه ، وذلك في قوله: {وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج }، ومنها قوت البهائم، كما قال:{ كلوا وارعوا أنعامكم } ..... .

الثالثة عشر :ما فيها من الأحجار المختلفة في أشكالها وألوانها وتعدد فوائدها .

الرابعة عشر :ما أودع الله فيها من المعادن الشريفة ، كالذهب والفضة ، ..... .

الخامسة عشر :كثرة ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار التي تصلح للبناء والسقف ، ثم الحطب ، وكذلك الأنهار العظيمة والصغيرة ،وهي جميعها تحمل مياهاً عذبةً ذات فوائد متعددة [1] .

إذن من الواضح جداً أن الأرض تؤثر في ساكنيها من حيث الفهم والدهاء والحكمة والغنى والذل والقناعة والصحة والمرض ، وأنها تؤثر في تكوينه الفكري والاجتماعي .وما من شك أن المبادئ الإسلامية والشرائع الربانية قد عالجت قضية البيئة ،فلم يسمح الإسلام بأي صورة من الصور أن تبقى الأرض خربة ، أو أن تكون مصدر إزعاج ، فقد ثبت في الحديث الصحيح قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طائر ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة "[2] ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من أحيا أرضاً ميتة فهي له ولعقبه "[3] ، وبذلك يكون الغرس والزرع طريقاً لرضا الله ـ عز وجل ـ ونيل ثوابه في الدنيا والآخرة ، وعلى العكس من ذلك يكون الفساد والعصيان وفعل الشر سبباً لغضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة .

ويجب أن لا نتردد أبداً إذا قلنا : أن الدين الإسلامي يمنع ويجرم كل الانتهاكات والتدمير الواضح للحياة البشرية ، من خلال دليل الاستقراء التام لأصول الشريعة وفروعها ، كما جزم بذلك الإمام الشاطبي في قوله :"على أن الشريعة

---

[1] ـ التفسير الكبير ،لفخر الدين الرازي ،ج 1 ،ص :104، 105

[2] ـ صحيح البخاري ، كتاب الحرث والمزارعة ،باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، رقم الحديث ،ج 3، ص : 208 ، رقم الحديث 2320.

[3] ـ شرح السنة ، البغوي ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، ج 6 ،ص : 150 .

وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي : الدين ،والنفس ،والنسل ،والمال ،والعقل ،وعلمها عند الأمة كالضروري ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموعة أدلة لا تنحصر في باب واحد "[1] ،وقد سبق لذلك التقعيد العام الإمام الغزالي عندما قال:" وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة ولا شريعة أريد بها إصلاح الخلق . وقد علم بالضرورة كونها مقصودة للشرع لا بدليل واحد وأصل معين ، بل بأدلةٍ خارجة عن الحصر"[2] ، فالمقصود الشرعي من الخطاب الديني كما يقول الإمام الشّاطبي: " تفهيم ما لهم وما عليهم. مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم "[3] ، وبالتالي نخلص بأن المحافظة على البيئة من الأخطار المهددة ، من ضمن مقاصد الشريعة الموائمة لحفظ الكليات الخمسة والمكملة لضرورة حفظ الأنفس مما ينتهك وجودها بالتدمير والقتل البطيء، والنصوص دالة بصريحها ومفهومها على هذا الأصل . من ذلك قوله تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}[4] ، فالمقصود في النهي عموم الفساد المانع من تعميرها وإصلاحها ، وحفظ البيئة من المتغيرات المناخية داخل في هذا العموم ، يؤيده ما ذكره الطبري عن السدي في تفسير قوله تعالى:{ وإذا تولى سعى في الأرض ليهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}[5] ،" بأن الذي نزلت فيه هذه الآية إنما نزلت في قتلة حُمُراً لقوم من المسلمين ، وإحراقه زرعاً لهم ، وذلك وإن كان جائزاً أن يكون كذلك ، فغير فاسد أن تكون الآية نزلت فيه ، والمراد بها كل من سلك سبيله في قتل كل ما قتل من الحيوان الذي لا يحل قتله بحال ، والذي يحل قتله في بعض الأحوال إذا قتله بغير حق ، بل ذلك كذلك عندي ؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يخصص من ذلك شيئاً دون شيء بل عمّه [6] ، ويدخل في هذا التعميم بصفة أساسية الإفساد البيئي .

ولو تتبعنا أنواع الفساد وأساليبه التي ذمها الله في القرآن الكريم لوجدناها موجودة في أمور منها[7] :

أولاً :الشرك بالله والتولي عمّا قررته الشرائع السماوية من المبادئ والأخلاق والتصورات، وتعتبر الشريعة الإسلامية هذا العنصر من أخطر عناصر الإفساد

---

[1] ـ الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي ، سنة الطبع 2006م ،1427هـ ،دار الحديث ، القاهرة ، 1، 27.

[2] ـ المستصفى للغزالي ،"ط"2،دارالكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ج ،1.،295،288.

[3] ـ الموافقات للشاطبي ، 3 ، 344 .

[4] ـ سورة الأعراف : من الآية ، 56.

[5] ـ سورة البقرة : الآية ، 205.

[6] ـ تفسير الطبري ، 4، 230.

[7] ـ البيئة والبعد الإسلامي ، ص :69

البيئي ، لكون المشرك بالله أو الكافر لا يقر ولا يعترف بمهندس الكون الذي أوجد فيه كل أسباب السعادة للإنسان إذا ما اتبع أوامره واجتنب نواهيه .
فالكفر والشرك والتولي ،وادّعاء الملك كل ذلك من المفسدات البيئية و يندرج ضمن أخطر الملوّثات التي يجب القضاء عليها، ومحاربتها بلا هوادة ولا تقاعس ؛ لأنها جميعاً تجلب الظلم ، وقد أكد الرازي في تفسيره حقيقة ذلك [1] .
ثانياً : عدم دفع الناس بعضهم بعضاً وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا ما يؤكده ربّ العزة في قوله ـ تعالى ـ : {ولولى دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين }[2] .
ثالثاً : اللهو **والهوى** ، والأصل في هذين الأمرين ماجاء في القرآن الكريم في أوائل سورة لقمان من قوله تعالى : { ومن يشري نفسه لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين }[3] ،وفي سورة ص : { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب }[4] ،وغيره كثير في القرآن الكريم ، وهو يدل على أن إتباع اللهو مدعاة للفشل في الحياة برمتها وهذا مفسدة للبيئة الإنسانية ، فلا استقرار خلقي ونفسي للمجتمعات تحت وطأة الأفلام الخليعة التي لا تتورع عن الإسفاف والانحطاط وما يتبعه من مجون وخمور ومخدرات ، وما آلت إليه اليوم من مسميات وتركيبات عصرية جديدة ، فلا نهضة ولا حياة كريمة للإنسان إلاّ في الالتزام بشر ع الله ؛ لأن الأمراض النفسية تعد من أخطر الآفات البيئية التي تعصف بالأسرة والمجتمع .
رابعاً :المحافظة على الثروة المائية ، يقول تعالى:{وجعلنا من الماء كل شيء حي}[5] ، ولذلك نهانا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على إفساد الماء العذب ، وعدم استعمال المياه الملوثة في إزالة النجاسة ، وذلك من منطلق حرص الإسلام على الإنسان في طعامه وشرابه ونفسه واطمئنانه ،فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه "[6] ،وهناك أحكام كثيرة تتعلق بالمياه لا يتسع المجال لسردها .

---

[1] ـ التفسير الكبير ، ج 13، ص :127
[2] ـ سورة البقرة ، الآية : 251 .
[3] ـ الآية:5
[4] ـ الآية:25
[5] ـ سورة الأنبياء ، الآية : 30
[6] ـ رواه البخاري ، كتاب الأشربة ، باب النهي عن التنفس في الإناء ، ج3 ، ص :62 ، رقم الحديث : 5630

خامساً:الهواء الجوي أو ما يعرف علمياً بالأكسجين ،قال تعالى:{ وأرسلنا الرياح لواقح}[1]،ولا شك في أن المحافظة على النسب الطبيعية المكونة للهواء أمر ضروري لصحة الإنسان والحيوان والنبات ، وأن وجود أي من الملوثات التي تؤثر على السلامة العامة هو من أخطر الأمور التي يمكن أن يواجهها الإنسان ، ولا يخفى على أحد ما تعانيه البيئة اليوم بسبب تلوث الجو، وما يسببه من تأثيرات على حياة الكائنات الحية قاطبة .

إن كل تلك المخاطر التي ذكرتها وغيرها كثير عالجها الإسلام بمنهجه القويم ، ورؤيته الشاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ، وما على المسلم إلاّ الرجوع إلى القرآن الكريم وسنة معلم الإنسانية القولية والفعلية والتقريرية ، وسيرة سلف الأمة ، فلا يصلح أمر هذه الأمة ويستقيم إلاّ بما صلح به أولها ،لذلك يجدر بالفقهاء المعاصرين توضيح معالم مقصد الشريعة الإسلامية في المحافظة على البيئة الإنسانية من الاختلال ،وذلك بالاستدلال والتأصيل الفقهي لحفظ البيئة من جهة الوجود ومن جهة العدم ، ومن خلال استقرائي وتتبعي لموضوع البيئة ، أرى أنّ جعل هذا المقصد من ضمن الكليات الكبرى بات من الضروريات المعاصرة ،نتيجة لحجم الهلاك والدمار والفوات الديني المترتب على تضييع هذا المقصد البيئي الذي لا ينفك عن مصالحه أحدٌ .، ولا يفلت من أضراره أحدٌ ، فالعمل على منع الغازات السامة ،وإغلاق المصانع المخالفة لكل المواصفات والمعايير المنصوص عليها في القوانين الداخلية والدولية ، صار من القضايا الرئيسة في هذا الحفظ ،كما يجب على الفقهاء التوعية والتوجيه الديني بضرورة حماية الماء والهواء والتربة من أي تلوثٍ يهدد سلامة الإنسان في الحياة، وعلى الدعاة دورٌ كبير في تشجيع المجتمع على بدائل الطاقة الصديقة للبيئة ،وإرشاد الناس إلى الاعتدال في الاستهلاك ، ومنع السرف في الموارد البيئية ،وتجريم وتعزير المخالفين ومقاضاتهم .

ولنا في سلف علماء الإسلام القدوة الحسنة ، فقد تفضلوا علينا بالتقعيد الأصولي لهذه البادرة الفقهية ،عندما قدروا المقاصد بالنوع الموضوعي دون التحديد العددي ، ومع وجود التداخل النسبي بينها ، إلاّ أن تلك المبادرات المقاصدية أعطتها أهمية وحضوراً في الخطاب الديني على حد تعبير الدكتور مسفر بن علي القحطاني[2] ، كما فعل ابن فرحون في المقاصد الضرورية بتقسيمها إلى أقسام :ما شرع من العبادات لتحقيق العبودية، أو لبقاء الإنسان، أو لتحصيل المبادلات، أو لمكارم

---

[1] ـ سورة الحجرات ، الآية رقم 22

[2] ـ أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، ورقة بحثية في المؤتمر الدولي الثاني حول الحق في بيئة سليمة ،استضافة ،جامعة أريس ، بيروت لبنان.

الأخلاق ، وقد أضاف بعض المعاصرين (كابن عاشور ، وجمال الدين عطية، وعز الدين بن زغيبة، وغيرهم)[1] جملة من المقاصد ، مثل: العدل والمساواة والحرية والحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأوصلها بعضهم إلى أربعةٍ وعشرين ،ويبدو واضحاً أن المقصد ليس الذكر وبيان الأهمية فقط ،بل يكمن العمل الرائد من خلال التطبيقات العملية في ترتيل العمل بهذا المقصد على ميادين الحياة ، وربط العمل به مع تلك المستجدات والنوازل ،والمقصد البيئي يعج بالأحكام التي تنتظر الفقهاء للحكم فيها والفصل في بيان العمل الراشد لحفظها وتوعية الناس بواجباتها وحقوقها .

وبهذا نخلص إلى أنَّ المخاطر البيئية لا تكمن أسبابها في العوامل الطبيعية فقط ، كالبراكين والزلازل والفيضانات ، والأعاصير المدمرة ، والريح العاتية ، والإشعاعات المتسربة ،والتي كثيراً ما يكون سلوك سبباً فيها ، وإنما هناك مخاطر غير طبيعية، تحدث بسبب تصرفات الإنسان بدءً من البصق على الأرض ، ومروراً بقطع الشجر، إلى صناعة الأسلحة الكيميائية المحرمة دولياً من حيث الجانب النظري ، أما العملي فالواقع أنه يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً .....!! .إنَّ الرؤية التي حاولت أن أقدمها في هذه الورقات المتواضعة، هي في واقع الأمر دفاعٌ مشروعٌ عن الدين الإسلامي وسماحته وعظمته ، وإنسانيته ، وجميع ما اشتملت عليه النظرة الصحيحة والسليمة لهذا الدين للحياة ، فالدين الإسلامي بما يتضمنه من مبادئ سامية مؤهل وبقوةٍ لأن يعالج كل الأزمات التي تعاني منها الإنسانية، ولعل من أبرز تلك الأزمات والمشكلات، ما يعرف اليوم بالمخاطر البيئية التي تعصف بالحياة الإنسانية برمتها ، فقد حاولت أن أبرز بعض النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية التي تحدد مسارات الإنسان المسلم ، وطريقة تعامله مع المحيط الخارجي له، حيث أنَّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكرت في الورقة البحثية ، يفهم من ظاهرها وتأويلها الحسن، إضافة لما تتضمنه من أوامر أو نواهٍ ، أنَّ الدين الإسلامي مهتمٌ بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان ، سواءٌ بيئته الأولى وهي مرحلة الحمل في بطن الأم ، أو بيئته بعد الولادة ، وما ينبغي أن يحضا به من اهتمام من قبل الوالدين ، كالحرص على الأكل الحلال ، وعدم الإسراف ،والحرص على التربية السليمة ، ومساعدته على أن يحي حياةً طيبةً ،حتى ينشأ جيلٌ طيبٌ من نسلٍ طيبٍ ، فالشجرة الطيبة لا تثمر إلّا طيباً .

إنَّ كل ما يمكن أن نعدده ونسميه وفق تعريفاتنا اللغوية المختلفة حول مفهوم المخاطر البيئية ، سنجد أنَّ الإنسان يلعب دوراً مباشراً أو غير مباشرٍ فيه ؛ لذلك كان

[1] ـ نحو تفصيل مقاصد الشريعة ، د. جمال الدين عطية ،ص :103.

الخطاب القرآني وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجهان للإنسان الذي ميزه الله ـ تعالى ـ بالعقل ؛ ولذلك ركز الدين الإسلامي بشكلٍ كبير على قيمة السلوك الإنساني وأهميته للحياة برمتها ، ولعل كثيراً من المفكرين والباحثين يتفقون معي في أنَّ أزمة البيئة لها علاقةٌ كبيرةٌ بأزمة الأخلاق التي يعيشها العالم على مختلف تنوعاته، وعلى مستوى مكوّناته الرسمية وغير الرسمية .

إنَّ اهتمام الدين الإسلامي بقيمة التربية ، ووضعه للأسس المتينة لتلك القيمة ،هو ما يعرف اليوم عند علماء الطب والحكماء "الوقاية خيرٌ من العلاج "، فالإنسان في منظور الإسلام هو محور الحياة وعمودها الفقري ،فكان منهج الإسلام الوسطي جامعٌ مانعٌ في معالجة أزمة ومشكلة البيئة ، حتى لو ذهبنا بعيداً وتحدثنا عن الأعاصير المدمرة ،لوجدنا أنَّ القرآن قد أخبرنا عن عقوباتٍ إلهيةٍ في أزمانٍ غابرةٍ،كالريح التي أرسلها الله ـ تعالى ـ إلى قوم عادٍ ،وثمود الذين أهلكوا بالطاغية وما حدث لفرعون الذي أفسد في الأرض ، فرحمة الله قريبٌ من المحسنين المتقين الذين يقفون عند حدود الله فلا يتعدونها ، ولا يقربونها ، ولا يعرف الظلم طريقاً إليهم ، فلا ينتقمون إلاّ لله ، ولا يكرهون إلاّ لله ، فحياتهم كلها لله ، لا يظلمون ولا يظلمون ، لا يفسدون في الأرض ولو بمثقال ذرةٍ **{فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره }**[1] .

الله الموفق

قائمة المصادر والمرجع

1 ـ القرآن الكريم
مصحف ليبيا برواية قالون عن نافع المدني .
2ـ التفسير الكبير للرازي ،طبعة جديدة منقحة ،دار الفكر للنشر والتوزيع .
3 ـ تفسير الطبري
4 ـ الموطأ ،للإمام مالك ،دراسة وتحقيق ،عبدا لمجيد تركي ، (ط) الأولى ،1994 م ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت .
5ـ سنن الترمذي ،حمص ،مطابع الفجر الحديث (ط) الأولى 1967م .
6 ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،لبنان .
7 ـ صحيح البخاري ،عناية ،محمد فؤاد عبدا لباقي ،(ط) الأولى 1423هـ ـ 2003م مكتبة الصفا .
8 ـ الإسلام والبيئة ،لمحمد مرسي محمد ،الرياض أكاديمية نايف العربية ،للعلوم الأمنية 1420هـ ـ 1999م .
9ـ الإنسان وتلوث البيئة ،لمحمد السيد أرناءوط ،الدار المصرية اللبنانية .
10ـ البيئة والبعد الإسلامي ،لفؤاد عبد اللطيف ،جامعة فيلادلفيا ،(ط) الأولى ،دار الميسر ،عمان .

[1] ـ سورة الزلزلة ، الآية ،7،8.

11ـ البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي ،إعداد .أ.د.محمد بن يحي بن حسن النجيمي ،ورقة بحثية مقدمة ،للمشاركة في الدورة التاسعة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي الدولي ،دولة الإمارات ،الشارقة .
12 ـ التلوث البيئي ،لمحمد عياد مقيلي ،(ط) الأولى 2002م ،دار شموع الثقافة ،الزاوية ،ليبيا .
13 ـ الصحاح للجوهري .
14 ـ المجمع الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة،1990م .
15 ـ المحلى لابن حزم .
16 ـ المستصفى ،للإمام الغزالي ،(ط)الثانية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان .
17ـ المعجم الوسيط ،عناية إبراهيم مصطفى ، وآخرون ،المكتبة الإسلامية ،استانبول ،تركيا .
18 ـ المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق ، بيروت، (ط) السبعة والعشرون .
19 ـ الموافقات للشّاطبي ،سنة الطبع 2006م ـ 1427هـ ،دار الحديث ، القاهرة .
20ـ لسان العرب ،لابن منظور ،طبعة جديدة ،أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي .
21 ـ نحو تفصيل مقاصد الشريعة ، للدكتور جمال الدين عطية .